الحسين ملك الجميع

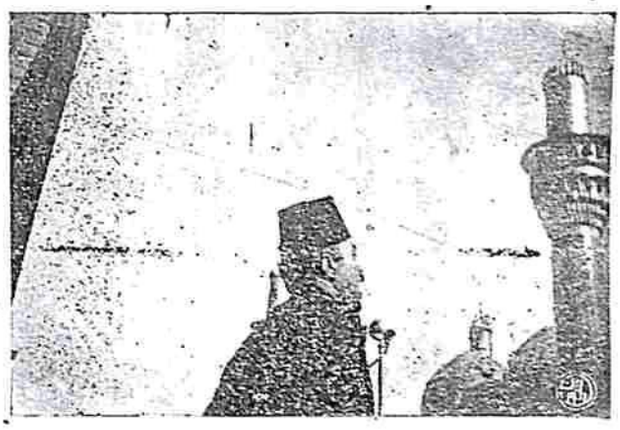

الكلمة القيمة التي ارتجلها الاستاذ الجليل محمد مبروك نافع استاذ التاريخ الاسلامي بدار العلوم بالقاهرة وكلية اصول الدين بالازهر الشريف والمنتدب استاذاً للتاريخ العربي بدار المعلمين العالية وتاريخ الاديان والفلسفة الاسلامية بدار العلوم العالية ببغداد ، صباح العاشر من محرم لسنة ١٣٦٤ في الروضة الكاظمية المطهرة . وها نحن نقدم للقارىء الكريم بعض ما استطعنا الحصول عليه من النقاط التي تذكرناها مقتضبة من خطابه الذي استغرق ما يقارب الساعة . وهو يتدفق كالسيل المنحدر على السياسة الاموية الهوجاء ازاء آل البيت ، ويفيض قوة ويلتهب حماسا على الوضع الاجتماعي الراهن للعرب والمسلمين ، واليك ما امكننا الحصول عليه من النقاط البارزة في خطابه القيم :— (البيان)

اخواني .. وبني ديني معشر المسلمين ...

« اتوجه والخشوع يملأ جوانحي الى ارواح اولئك الشهداء من آل البيت جميعاً .. الذين فاضت ارواحهم ، وكتبوا في سجل الخلود صفحة لا تمحى ، واثبتوا ان الدار الآخرة خير وابقى ... »

بهذا التعبير افتتح الاستاذ الكبير خطابه .. ثم استمر فقال :

« واتقدم الى روح الامام الاكبر علي بن ابي طالب .. والى روح سيدنا الحسين سبط الرسول .. وابي الشهداء وسيد شباب اهل الجنة ببالغ الخشوع والخضوع والتبجيل »

ثم ذكر بعد هذه المقدمة انه :— « ليس الحسين الذي نجتمع اليوم للاحتفال بذكراه ، ملك احد من المسلمين دون آخر .. ولا طائفة من المسلمين دون اخرى .. وانما هو ملك المسلمين جميعاً ، لانه ابن بنت رسول الله وريحانته . . . » ثم ذهب الاستاذ الى اكثر من هذا فقال : « بل ان الحسين يصح ان يكون ملكا للانسانية جميعاً لانه ضرب مثلا اعلى للمبادىء الخالصة .. ولانه جاد بنفسه في سبيل المبدأ الذي اعتنقه .. والجود بالنفس اقصى غاية

الحياة مستصغراً شأن الموت غير ناظر الى شيء الا الحق الذي امتزج بلحمه ودمه .

يرى انصاره يتخطفهم الموت ، ويستنزل منهم الى الارض كل ساعة فارساً صنديداً ، قد صدق اللقاء واحسن البلاء حتى انحنى فخر عن صهوة جواده مضمخاً بدمائه ، ويرى حرمه يتفجعن ويتصايحن مذعورات مشفقات مما يستقبل سيدهن من الموت — وهو الوزر الذي يلجأ اليه — ومما يستقبلهن من السبي والتشريد وهن عقائل النبوة وحرائر الرسالة .

ينظر عليه السلام كل ذلك وهو يتلوى من شدة الصدى ويقاسي من حر الظمأ ما لا يكون معه بال حاضر ، ولكن الحسين حاضر البال جميع الرأي رابط الجأش تزول الجبال ولا يزول ويلين الحديد ولا يلين ، يستجيب لهذا الصوت الالهي الذي يستعديه على أئمة الضلال واتباعهم فيشد عليهم فاذا هم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف .

لقد عاش عليه السلام حراً ، ومات حراً ، وترك للاجيال تاريخاً هو ملء الدنيا نوراً وملؤها عطراً . عزالدين آل ياسين

الجود ..». واستمر على هذا الشكل موضحاً للحفل مكانة الحسين «ع» من قلوب البشر اجمع .. ومبلغ تعلقهم به على اختلاف الملل والنحل والاديان ..

ثم قال .. « واني الآن لن اتكلم عن مأساة الحسين لان الكل يعرفها في تفاصيلها . ولكنني احاول ان اتكلم ما بين السطور وان اتحدث عن الدروس والمعاني التي يمكن ان نستخلصها مما اوحته لنا هذه الذكرى ...».

ثم استرسل في خطابه حول هذه الدروس التي وضعها الحسين «ع» مثلا اعلى لنا للاقتداء به .. فقال :—

« ولقد كان الحسين نبيلا في كل موقف من مواقفه فعرض على اصحابه مفارقته حتى لا يتعرضوا للخطر المحدق به .. فابوا عليه ذلك .. ثم وجه الحديث الى الخصوم من اعدائه للمناقشة معهم فأبوا عليه ذلك .. ثم عرض عليهم كتبهم المرسلة اليه .. فانكروا عليه ذلك .. وتجاهلوه .. فابرأ ذمته منهم ، وأتم حجته عليهم ..».

ثم ذكر الاستاذ بعد ذلك : « ان الحزب الاموي قد تورط في اخطاء متتالية ... ويصح ان نقول ان سنوات حكم يزيد كانت سنوات شؤم على العالم الاسلامي ... ففي العام الاول من حكمه كانت وقعة الحرة المشهورة . وفي العام الثاني ضربت الكعبة بيت الله وقبلة المسلمين بالمجانيق وفي العام الثالث كانت المأساة الكبرى التي انتهت بمصرع الامام الحسين سبط الرسول الاعظم في ساحة كربلاء .. والتي حزت قلوب المسلمين حزاً .. وهزت مشاعر العالم الاسلامي الى الاعماق .. حتى ان فريقاً من المسلمين قالوا : ان تلك الفئة التي اقترفت هذه الجرائم المتعاقبة وخاصة مع ابن بنت رسول الله ، لم تكن في قلوبها ذرة من الايمان بالله وبرسوله .. كما وان المتصفح لكتب التاريخ ولو من غير المسلمين حين يصل الى هذه الواقعة يجزم بان الذين قاموا بها كانوا من ابعد الناس عن روح الدين الاسلامي ..»

ثم استطرد الاستاذ في خطابه باسهاب عن المسؤولية الجنائية الملقاة على عاتق الجناة الذين اقترفوا هذه الجريمة التأريخية الشنعاء ومبلغ نصيب كل من يزيد وابن زياد وابن سعد منها .. فاعتبر يزيداً هو المسؤول الاول عن هذه الواقعة لانه مصدر الاوامر لعبيد الله بن زياد .. ولا يستطيع ابن زياد ان يقدم على امر كهذا دون مرضاة يزيد .. ودحض اقوال المدافعين عن يزيد بقوله : « وان يزيد لا يمكن ان يتخلى لنا من المسئولية مهما حاول المدافعون عنه تبرير ساحته بحجة انه لم يشترك في الجريمة ولم يأمر بها .. اذ انه ان لم يكن هناك من دليل ، فيكفي ان ينهض دليلا على ادانته انه لم يعاقب احداً من المشتركين فيها .. واما الكلمة الوحيدة التي رويت عنه انه قال « لعن الله ابن مرجانة ـ اما والله ـ لو كنت صاحبه لعفوت عنه .. رحم الله ابا عبدالله ..» فهذه كلمة لا تنهض دليلا على تبرئة ساحته ، ولا تكفي لرفع المسئولية عنه ..»

ثم ذكر الاستاذ : « وان الذين اشتركوا في الجريمة .. كان بعضهم كعمر بن سعد من المترددين بين الدنيا والآخرة .. فغلبتهم الدنيا في آخر الأمر وآثروا قتل الحسين على فقدان منصب منوا به .. الا انهم لم يظفروا بتلك الاماني فيما بعد فخسروا الدنيا والآخرة معاً .. ».

ثم قارن بعد ذلك بين تصرف عمر بن سعد وتصرف مسلم ابن عقيل حين واتته الظروف وكان في طوقه ان يقتل عبيدالله بن زياد فابى .. واستنتج الاستاذ من ذلك .. « ان المعركة كانت معركة الفضيلة والرذيلة .. قبل ان تكون السياسة والملك ..»

ثم استطرد بعد ذلك الى أثر مقتل الحسين في العالم الاسلامي . فقال :—

« ان هذه الحادثة جمعت بصفة عامة قلوب المسلمين في الارض ضد بني أمية .. وجمعت بصفة خاصة قلوب الشيعة . وبعد ان كان التشيع رأياً سياسياً نظريا .. اصبح عقيدة راسخة في النفوس بفضل هذه الشهادة .. وان الثورة على بني امية بدأت منذ ذلك الحين .. تخفيها القوة حيناً .. ويظهرها الضعف احياناً .. حتى انتهت بتقويض العرش الاموي تحت اقدامهم .. »

ثم تناول الاستاذ آراء فريق من المؤرخين والمستشرقين

الذين لا يمكن ان يتهموا في رأيهم .. فذكر ان الاستاذ السيد أمير علي المؤرخ الهندي المسلم قال .. « ان هذه الحادثة هي التي القت الرعب في جميع انحاء البلاد الاسلامية وساعدت العباسيين على ثل عرش بني امية .. » .

وان الاستاذ براون المستشرق الانكليزي المشهور ذكر . « ان حزب علي كانت تنقصه الحماسة وبذل النفس فاصبح بعد واقعة كربلاء اشد الناس حماساً يستعذب الواحد منهم الموت في سبيل المبدأ .. »

وقال الاستاذ نيكلس المستشرق الانكليزي .. « ان

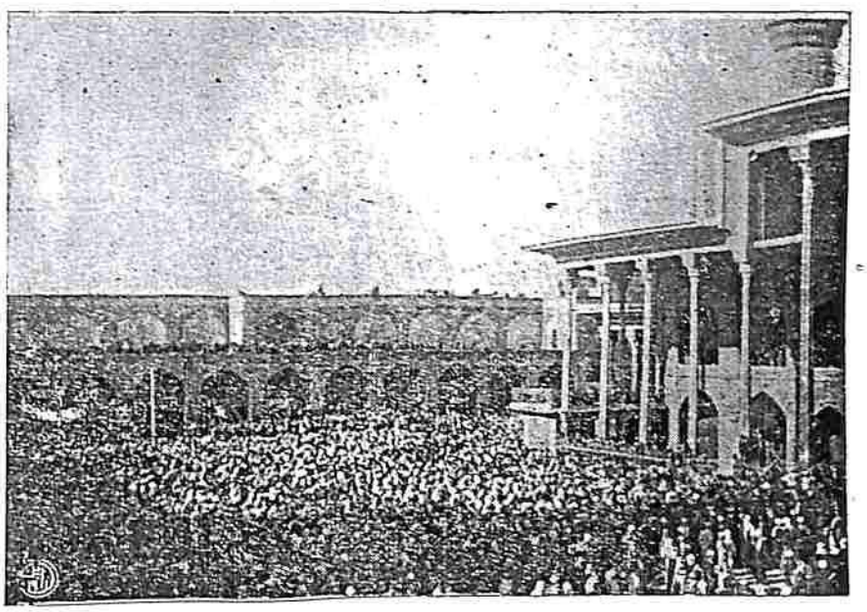

منظر يمثل الجماهير المحتشدة لاستماع الخطب

الدين والملك لم ينفصلا في الحكومة الاسلامية وقد حكم كلاهما بادانة الامويين في هذه الحادثة الشنعاء .. »

وذكر رأياً آخر للاستاذ مارمين المستشرق الالماني الذي قال : « ان الحسين حينما اقدم على السفر الى العراق كان يعلم ان الأمر وعر وانه لم يكن جاهلا ولا قصير النظر في اقدامه على حرب بني امية وانما كان بعيد النظر جداً لانه كان يعلم انه مقتول لا محالة .. ولكنه اراد ان يضع نفسه ودمه فداء لمبدئه بان يزلزل العرش تحت اقدام بني امية .. وكأنما كان ينظر بعين الغيب فيحقق ما

ارتآه .. وكان دمه الغالي ثمناً لازاحة الظلم والعدوان . »

ثم قال الاستاذ « وسواء كنا نلتقى مع هؤلاء المستشرقين في وجهة نظرهم ام لا !! الا اننا نلمس الاجماع في اقاويلهم على ان جريمة شنعاء ارتكبت كان بطلها يزيد وانصاره .. وان بطولة وعظمة ظهرت مستهينة بالموت في سبيل المبدأ كان بطلها الحسين وآله وابناؤه .. فاذا كان لنا ان نستخلص شيئاً من مأساة الحسين عليه السلام .. فهو الايمان الخالد الذي لا يتزعزع برأي .. والدفاع عنه حتى الموت .. وذلك اقصى ما يمكن ان تصل اليه الاريحية .. بل وذلك هو المثل الخالد الذي باقتفاء اثره تتقدم الانسانية .. » .

ثم تطرق الاستاذ بعد هذا الى آراء بعض الناس « القصيري النظر » حول شخصية الحسين عليه السلام ونهضته فقال « ان من الناس من يقول ان الحسين سعى الى حتفه بظلفه واعتمد على اهل الكوفة .. » ولكنه اجاب عليهم .. « ان الرد على هذا بسيط فاذا عسى ان يفعل الحسين بعد ورود الوثائق الكثيرة من اهل الكوفة باستدعائه لتوليته .. فلو انه لم يستمع اليها ولم يلب دعوتهم ولم يذهب اليهم لاتهم بالتراخي والاهمال .. » .

ثم قال « وذهب فريق من الناس ان الحسين لم ينظم دعوته .. وانما كان يجب عليه ان يدبر لها تدابيرها السرية كسائر المؤامرات المألوفة . » ولكنه اجاب على ذلك بقوله : « الا ان هذه التدابير هي ابعد شيء عن خلق الحسين الرفيع الذي كان يعمل في وضح النهار كسائر الصحابة الذين عاشوا في نور النبوة وشاهدوا العصر الاول الذهبي الذين الاسلامي .. وما كان مثل الحسين من يعد الناس كذبا او يرشيهم بالمال او يكذب عليهم بالافعال .. واذا لم ينصره الناس لانه ابن بنت رسول الله .. ولانه احق الناس بهذا الامر .. ولأن الحق في جانبه .. فاي شيء يبتغون ؟؟ واي

شخص ينصرون ؟؟.. وحسبه انه ارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل الكوفة يدعوهم في غير مواربه ولا ختل ولا نفاق .. » .

ثم ذكر الاستاذ بعد ذلك « ان الامويين بعد هذه الحادثة احسوا بان قلوب الناس انصرفت عنهم وان العرش قد تزلزل تحت اقدامهم .. فضاعفوا نكايتهم بالعلويين وتعقيبهم لهم حيثما كانوا واينما وجدوا .. وكأنهم لم يكتفوا بهذا بل لجأوا الى سلاح معنوي آخر هو ان يسبوا علياً فوق المنابر .. ولكن الامر انعكس عليهم وزاد في عطف الناس على العلويين وتعلقهم بآل البيت النبوي .. »

ثم بعد ذلك استطرد كلامه الى الناحية الاجتماعية التي احاطت العالم الاسلامي وتعقد المشاكل بين صفوف المسلمين .. فعالج تلك النواحي علاجا متيناً مما أعلمنا انه من ارباب علم الاجتماع واخذ يصور للسامعين مبلغ ابتعاد المسلمين عن الخطة التي رسمها لهم الامام الشهيد الحسين السبط في نهضته داعياً الى الوحدة والتآلف وضرورة جمع الكلمة تحت « راية الحسين » الذي بذل نفسه فداء لاحياء السنة واماتة البدعة » ثم قال مستصرخاً في صفوف المسلمين : —

ايها المسلمون .. المجتمعون في هذا المشهد الشريف .. اذكروا انكم الآن في مسجد الامام الأعظم موسى الكاظم عليه السلام » وعالموا ان الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس أحب الى الله ورسوله .. واعلموا ان رسول الله يرتاح في قبره .. وتطمئن عظامه » وتهدء أرواح الضحايا والشهداء حين ترى المسلمين جبهة واحدة يرفعون راية رسول الله » ويحملون مبادئ ابن بنت رسول الله عالية ترفرف » كما كانت من قبل نوراً على العالم .. ونبراساً للمدينة والحضارة »»»

ثم اختتم الاستاذ خطابه قائلا : — اننا يجب ان لا ننصرف من هذا المكان العظيم عقب هذه الذكرى المقدسة إلا ونحن ممتلؤن ايماناً بمبادئ الامام الحسين عليه السلام .. راغبون في ان نتأثر خطاه حتى نعيد لهذا الاسلام الذي استشهد في سبيله سالف مجده .

ان هذا هو العمل العظيم الذي ترتاح اليه أرواح أولئك الشهداء السعداء .. ويطمئن له رسول الله في قبره .. ولن يكون هذا إلا اذا وقفنا كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضنا بعضاً . نعمل على نصرة الدين . ونشر لواء الاسلام .. ونكون بحق سلالة أولئك الابطال الذين ملئوا العالم علماً ونوراً .. في وقت عم فيه الجهل والظلام ..

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

محمد مبروك نافع

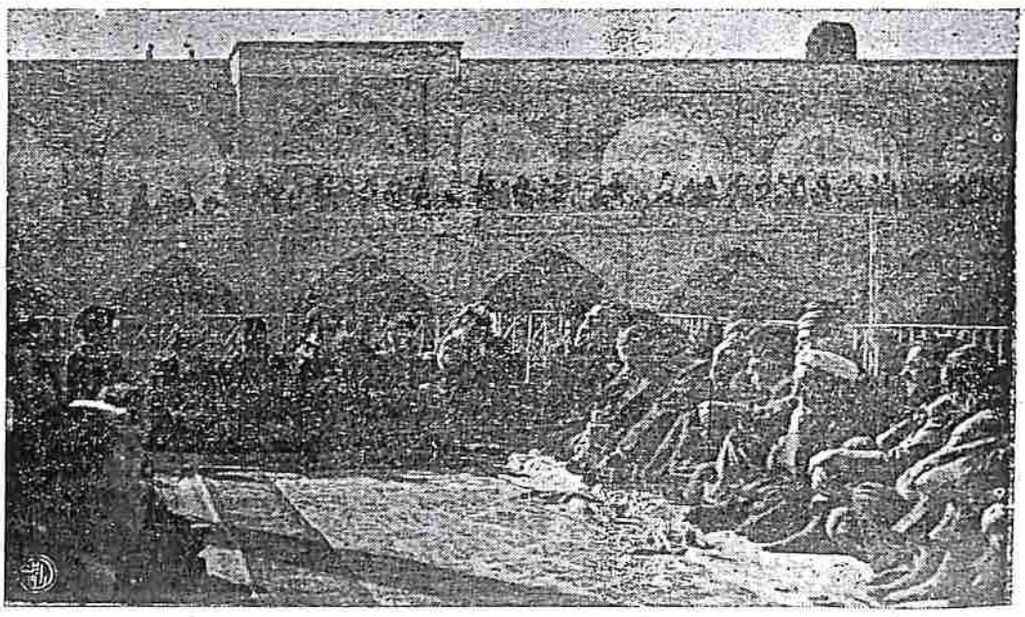

مجلس يحتوي على فريق من الاساتذة والخطباء وجمع من الوزراء والقناصل الدولية وترى بينهم سماحة الحجة الحسيني صاحب الدعوة وقد اطرق الجميع إجلالا وهيبة متذكرين هول يوم الحسين واستماعهم خطبة الاستاذ مبروك نافع .